سيرة الضباط التركمان في تاريخ الجيش العراقي:

القائد العسكري التركماني مصطفى راغب باشا إنموذجاً

عادل زين العابدين

إن الضباط العراقيين الذين كانوا في الأصل جزء من الجيش العثماني, قد شكلوا نواة الجيش العراقي الذي تأسس في 1921. مصطفى راغب باشا, ذلك الضابط التركماني, كان أحد هولاء المؤسسين, الذين تلقوا التعليم والتدريب العسكري في المؤسسات العسكرية العثمانية, واكتسبوا الخبرة بمشاركتهم في الحرب العالمية الاولى مع الجيش العثماني.

مصطفى راغب صاري كهية، المعروف بمصطفى راغب باشا، من الضباط التركمان المعروفين في تاريخ الجيش العراقي. ولد مصطفى راغب باشا سنة 1895 في مدينة البصرة من أبوين تركمانيين من مدينة كركوك في شمال العراق, وكان والد مصطفى راغب باشا من كبار موظفي الدولة العثمانية في ولاية البصرة. أكمل

مصطفى راغب باشا دراسته الابتدائية في موطن أسرته في مدينة كركوك، ثم التحق بالمدرسة الرشدية العسكرية ببغداد، ثم دخل المدرسة الحربية العثمانية في اسطنبول وتخرج منها برتبة ملازم ثان عام1912، وعين ضابطاً في الجيش العثماني، والتحق باللواء الثالث والثمانين من الفيلق التاسع في منطقة ارضروم في جنوب شرق تركيا. مشاركة مصطفى راغب باشا في المعارك مع الجيش العثماني أكسبته الكثير من التجارب والخبرة العسكرية، حيث شارك في حرب البلقان الاولي في عهد حكومة الاتحاد والترقي ثم عاد الى ارضروم مع لواءه.

اثناء الحرب العالمية الاولى 1914-1918 شارك مصطفى راغب باشا في كثير من المعارك, يُذكر أنه جرح أربع مرات في

موقع قزلداغ في منطقة آراس الواقعة بين تركيا، اذربيجان، ايران وارمينيا. في عام 1918 تم ترقية مصطفى راغب باشا الى رتبة رئيس (رائد), وكان حصوله على هذه الترقية نتيجة القدم العسكري فضلاً عن المهارة والكفاءة العسكرية والبسالة التي أظهرها في المعارك. اشترك مصطفى راغب باشا في حرب الإستقلال التركية1919-1923 وأبدى شجاعة كبيرة ضد المحتلين للأراضي التركية. وقد قامت الدولة العثمانية بتكريم مصطفى راغب باشا بمجموعة من الأوسمة والميداليات، منها وسام "كوميش افتخار" خلال حرب البلقان لما أبداه في تلك الحرب من البسالة النادرة، والوسام المجيدي من الدرجة الخامسة من الحكومة العثمانية، الى جانب ميدالية الحرب وميدالية الاستقلال التركي.

بعد عقد معاهدة لوزان عام 1924عاد مصطفى راغب باشا إلى العراق, غير انه اعتزل الخدمة العسكرية وتفرغ لإدارة أراضيه الزراعية وأملاكه التي كان يمكلها في مدينتي الحلة وكركوك. في عام1927 عاد مصطفى راغب باشا للخدمة في الجيش العراقي الذي تأسس في 6 كانون الثاني/ يناير من العام 1921. ان الضباط العراقيين الذين كانوا في الأصل جزء من الجيش العثماني, قد شكلوا نواة الجيش العراقي الذي تأسس في 1921. مصطفى راغب باشا، ذلك الضابط التركماني، كان أحد هولاء المؤسسين، الذين تلقوا التعليم والتدريب العسكري في المؤسسات العسكرية العثمانية، واكتسبوا الخبرة بمشاركتهم في الحرب العالمية الاولى مع الجيش العثماني.

تقديراً لبطولات مصطفى راغب باشا في الحركات العسكرية التي شارك بها مع الجيش العراقي، قام ملك العراق الراحل فيصل الأول بتقليد مصطفى راغب باشا نوط الشجاعة في عام 1932, وفي عام 1933 رقي مصطفى راغب باشا إلى رتبة مقدم في الجيش العراقي, ثم رقي إلى رتبة عقيد في عام 1938 , عام 1941 عين رئيساً للمجلس العرفي العسكري, ورقي إلى رتبة زعيم (عميد) في عام 1942. أصبح مصطفى راغب باشا مديراً للميرة والتموين في وزارة الدفاع العراقية عام 1944, وفي العام نفسه عين قائدا للفرقة الثانية في مدينة كركوك, ورفع الى رتبة لواء عام 1945.

بالاضافة للأدوار المهمة لمصطفى راغب باشا خلال حركات الجيش العراقي لحفظ الأمن والاستقرار في داخل الأراضي العراقية، فأن مصطفى راغب

باشا قام بأدوار مهمة في حرب فلسطين الاولى 1948, ففي 20 تموز/يوليو 1948 أصبح قائد القوات العراقية في مدينة نابلس الفلسطينية. ولكنه عندما شعر بعدم جدية الحكام العرب آنذاك لحماية فلسطين من العصابات الصهيونية، رفض المشاركة في تلك المؤامرة على القضية الفلسطينية وقدم استقالته وغادر الأراضي الفلسطينية.

ذكر اللواء الركن خليل سعيد في الجزء الثاني من كتابه "تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين":

"وظل أمير اللواء مصطفى راغب في القيادة حتى ثبت خطط الحركات المقبلة المتحملة وأصدرها في 1948/9/12 ثم طلب بعد فترة قصيرة إعفائه من المسؤولية، وقدم استقالته إلى وزير الدفاع ونسخة منها إلى الأمير عبد الإله الوصي على العرش. وكانت الاستقالة شديدة اللهجة وصريحة، نسب فيها عدم النجاح إلى جميع القادة العرب المسؤولين من سياسيين وعسكريين، و وصف فيها الموقف بأنه "مؤلم للغاية". وقال انه كان إلى ألآن يسلى نفسه بالأمل وإمكان النصر، ولكنه أصبح على يقين بأن يوم النصر بعيد. وانه لن يرى اليوم الذي كان ينتظره لتقديم خدمة لبلاده وان اليهود حتماً هم الرابحون.. وانه لا يريد ان يكون أحد الممثلين في هذه المسرحية".

أما العقيد الركن عامر حسك فأنه أشار إلى إستقالة مصطفى راغب باشا في كتابه "مأساة فلسطين" بقوله:

"لقد استقال قائد القوات العراقية في جبهة فلسطين اللواء مصطفى راغب بعد أن شعر ان موضوع القتال في فلسطين غير جدي. وربما خشي أن يجعل منه أبن علقمي لسنة 1948. ولذا رفض ان يتقمص ذلك القميص..". بعد تقديمه الاستقالة أوصى مصطفى راغب باشا بجلب سيارته الخاصة من العراق وعندما جاءته ركب فيها وغادر نابلس في أوائل تشرين الأول/ أكتوبر 1948.

توفي مصطفى راغب باشا في 12 كانون الاول/ ديسمبر1960 ودفن في مقبرة علي باشا - مقبرة الشهداء- في كركوك. قامت جمعية المحاربين القدماء التركمان بإعادة تشييد قبره وإعماره, تكريماً لسيرته وبطولاته. في عام 2011 بمبادرة من الجهات السياسية التركمانية تم إطلاق أسم القائد العسكري التركماني المعروف مصطفى راغب صاري كهية (مصطفى راغب باشا) على أحد الشوارع الرئيسة في مدينة كركوك. وتم تثبيت لوحة تعريفية في الشارع المذكور تضمنت سيرة موجزة عن حياة القائد المذكور، والمآثر التي قام بها، سواء خلال خدمته في الجيش العثماني أو بعد توليه مناصب عسكرية رفيعة في الجيش العراقي، حضرت حفل افتتاح اللوحة التعريفية قيادات سياسية تركمانية ومسؤولين من المؤسسات الأمنية في محافظة كركوك، لما تتمتع به ذكرى القائد العسكري التركماني مصطفى راغب باشا من الأحترام في الأوسط الشعبية والرسمية.

المواقف البطولية لمصطفى راغب باشا، وللعديد من الضباط العراقيين من مختلف القوميات في فلسطين، اليوم تستذكر كجزء مهم من المطالبات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وتلك البطولات تعد حاجزاً أمام الجهات التي تروج للتطبيع مع إسرائيل. خاصة بعد المؤتمر الذي عقد في اربيل في 25 ايلول/ سبتمبر 2021, الذي كان يروج للتطبيع, والذي استفز وجدان الشارع العراقي. عقب هذا المؤتمر استنكرت الجهات التركمانية هذه الدعوات مع التنبيه الى خطورتها ودعت الى اتخاذ الاجراءات الصارمة لمنع تكرار هذه الفعاليات, في 25 أيلول/سبتمبر2021 وصفت رئاسة الجبهة التركمانية العراقية، دعوات التطبيع بـ"السابقة الخطيرة"، التي تؤدي إلى شق الصف الوطني. وذكرت الرئاسة أنها ترفض "رفضا قاطعا دعوات التطبيع مع الكيان الصهيوني التي انطلقت يوم أمس من مؤتمراً عقد في محافظة اربيل، والذي يعد سابقة خطيرة وخرقاً للاجماع الوطني الرافض لكل اشكال التطبيع مع هذا الكيان" حسب البيان التركماني فان تركمان العراق يفتخرون بالدور المشرف للقادة العسكريين التركمان تجاه القضية الفلسطينية من أمثال مصطفى راغب باشا وعمر علي البيرقدار في مقارعة هذا الكيان الغاصب لحقوق الشعب الفلسطيني. ■

عادل زين العابدين: باحث من العراق، يعمل حالياً في قسم دراسات العراق في مركز أورسام.